العقيدة الإسلامية

(شبهات وردود)

جميع الحقوق محفوظة للناشر

سلسلة مطبوعات الأكاديميـــة: ٤٩

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ = ٢٠١٣م

أكاديميـــة شيـــخ الهنـــد

الجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند ، الهند

الرمز البريدي : ٢٤٧٥٥٤ - الهاتف ٢٢٢٤٢٩-٠١٣٣٦-٠٠٩١

SHAIKHUL HIND ACADEMY

DARUL ULOOM, DEOBAND-247554 (INDIA)

Ph: 0091-1336-222429

E-mail : mohtamim@darululoom-deoband.com

العقيدة الإسلامية

(شبهات وردود)

تأليف

الإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفى ١٢٩٧هـ

مؤسس الجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند

تعريب

الأستاذ محمد ساجد القاسمي

أستاذ الجامعة الإسلامية دارالعلوم/ ديوبند

أكاديمية شيخ الهند

الجامعة الإسلامية دارالعلوم / ديوبند (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فرسالة «تصفية العقائد» (العقيدة الإسلامية: شبهات وردود) إحدى الرسائل العلمية التي ألفها الإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ مؤسس الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند دحضًا للشبهات والأفكار الخاطئة التي كان يَتبَنَّاها بعضُ معاصريه، وهو السيد أحمد خان المتوفى عام ١٨٩٨م مؤسس جامعة عليجراه الإسلامية.

وقصة تأليف هذه الرسالة أن السيد أحمد خان أبدى بعض آرائه ومواقفه التي كانت تعارض مبادئ الإسلام وحقائقه الثابتة، مما أثار ضجة ضدَّه في أوساط المسلمين، وأصبح حديث المجالس والنوادي لديهم. وقد بلغ الإمامَ محمد قاسم بعضُ آرائه عن طريق الناس، فتألَّم له وتأسَّف. غيرأنه لم يُحبَّ أن يُفاتحه بشأن آرائه رأسًا مخافة أن لا يُلقي هو له بالًا.

هذا وقد كان الشيخ محمد عارف على اتصالٍ بالسيد عن طريق المراسلة، فتوسط الشيخ بين الإمام وبين السيد، وطلب من الآخر أن يكتب إليه خطابًا في آرائه وأفكاره، حتى يعرضه هو على الإمام.

فكتب إليه السيد خطابًا يوضح فيه مبادئه الخمسة عشر التي يصدرهو عنها في آرائه ومواقفه. وصل الخطاب إلى الشيخ محمد عارف، فأرسله إلى الإمام محمد قاسم. قرأ الإمام الخطاب ، وألمَّ بما في المبادئ من زيف، فتناولها بالتحليل، ودحض ما تفرز عنه من شبهات وانحرافات عن الفكر الإسلامي الأصيل.

ثم إن الشيخ محمد حيات صاحب المطبعة الضيائية بـ «بيروت» جمع خطاب السيد ورد الإمام عليه في رسالة سماها «تصفية العقائد»، ونشرها من مطبعته.

جزى الله عزَّ وجلَّ خيرًا الأخ الفاضل الشيخ محمد ساجد القاسمي أحدأساتذة الجامعة الذي قام بترجمة هذه الرسالة إلى العربية، كما قام- قبلها- بترجمة العديد من مؤلفات الإمام ورسائله. نشرترجمة الرسالة فضيلةُ الشيخ نور عالم خليل الأميني - أستاذ الأدب العربي بالجامعة - في حلقات على صفحات مجلة «الداعي» العربية التي يرأس تحريرها والتي تصدر كلسان حال الجامعة.

ولا شك أن الفضل في حركة ترجمة التراث وتعريبه في الجامعة يرجع إلى فضيلة الشيخ نور عالم خليل الأميني الذي يُعنى بدوره بترجمة كتب مشايخ الجامعة وعلمائها الأعلام، ويرعى مايترجم أساتذة الجامعة من كتب المشايخ، وينشر ها- الكتب المترجمة- في صفحات مجلة «الداعي» العربية.

وقد وافق المجلس الاستشاري للجامعة في دورته المنعقدة في ٢١-٢٢/ شعبان سنة ١٤٣٤هـ الموافق ١-٢/ يوليو عام ٢٠١٣م على طباعتها ونشرها من أكاديمية شيخ الهند بالجامعة، فجمع الأخ محمد ساجد القاسمي الحلقات كلها في كتاب، ليضعه بين يدي قرَّاء العربية، فجزاه الله خيرا على ما يقوم به من ترجمة مؤلفات الإمام ورسائله القيمة النافعة.

وهنا أشكر فضيلة الشيخ بدر الدين أجمل القاسمي -حفظه الله- عضو المجلس الاستشاري للجامعة الذي يُشرف على أكاديمية شيخ الهند، ويهتم بنشر مؤلفات مشايخ الجامعة منها، فجزاه الله خيرًا.

وأدعو الله جلَّ وعلا أن ينفع بهذه الرسالة المترجمة قُرّاءها، كما نفع بأصلها، ويجزي مؤلفها ومترجمها، والمعني بطباعتها ونشرها خير ما يجزي عباده الصالحين.

أبو القاسم النعماني

رئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند

٢/ ربيع الأول سنة ١٤٣٥هـ

الموافق ٤/ يناير عام ٢٠١٤م

كلمة المترجم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فمن فضل الله ومنِّه أنه وفقني لإنجاز ترجمة «تصفية العقائد» (العقيدة الإسلامية: شبهات وردود) للإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ١٢٩٧هـ مؤسس الجامعة الإسلامية: دارالعلوم بديوبند، كما أنجزت قبلها- بتوفيقه وتيسيره- ترجمة العديد من كتب الإمام، وهي:«حجة الإسلام»، و«ردود على اعتراضات مُوجَّهة إلى الإسلام»، و«محاورات في الدين».

والكتاب دراسة نقدية لآراء ونظريات السيد أحمد خان المتوفى عام ١٨٩٨م مؤسس جامعة عليجراه الإسلامية، التي كانت تعارض الفكر الإسلامي الأصيل المتوارث من سلف الأمة وأئمتها الأعلام، والتي أثارت بلبلة فكرية في أوساط المسلمين. وكان للسيد مبادئ يصدر عنها في آرائه، ويعضُّ عليها بالنواجذ.

توسَّط الشيخ محمد عارف بين الإمام وبين السيد في المراسلة، فوصل- عن طريقه- خطاب السيد المحتوي على المبادئ الخمسة عشر إلى الإمام ، فدرسها الإمام في ضوء الكتاب والسنة والمنهج المتوارث للأمة، ورَدَّ على ماتتمخض عنه المبادئ من شبهات وانحرافات.ثم قام أحد معارف الإمام بجمع الخطاب والرد عليه

في كتاب ونشره من المطبعة.

ولما كان هذا الكتاب يشتمل على آراء السيد ونظرياته قام «بيتر هاردلي» (Peter Hardy) الأستاذ بجامعة لندن بترجمته إلى الإنجليزية؛ مما أغراني بترجمته إلى العربية قبل باقي كتب الإمام.

والجدير بالذكر أن ترجمة هذا الكتاب- كالكتب المترجمة الأخرى- أشرف عليها ونشرها الأديب والكاتب الإسلامي المعروف فضيلةُ الشيخ نور عالم خليل الأميني -أستاذ الأدب العربي بالجامعة ورئيس تحرير مجلة «الداعي» العربية الصادرة منها - على صفحات مجلة «الداعي» العربية في أربع حلقات.

فأشكر ه على إشرافه على ترجمة الكتاب، ونشره في المجلة ، كما أشكر فضيلة الشيخ أبو القاسم النعماني- حفظه الله ورعاه-، حيث أخذ الموافقة من مجلس الشورى على طباعته ونشره من أكاديمية شيخ الهند التابعة للجامعة، فجزاهما الله خيرًا، ومتعهما بطول العمر، ووافر الصحة والعافية.

محمد ساجد القاسمي

أستاذ الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند

١٧/ ربيع الأول سنة ١٤٣٥هـ

الموافق١٩/ يناير عام٢٠١٤م

ترجمة المؤلف

هو الإمام محمد قاسم النانوتوي مؤسس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند، ومن عباقرة العلماء، وفلاسفة الإسلام، والأبطال المجاهدين، وأحد كبار رجال التعليم الديني في القرن الثامن عشر الميلادي.

نافح عن الشريعة الغراء اعتراضات أعداء الإسلام وشبهاتهم، ونشر العقيدة الصحيحة، وذبَّ عن لجينها غبار البدع والخرافات الجاهلية، وأنشأ حركة تأسيس المدارس الإسلامية الأهلية في شبه القارة الهندية.

ولادته ونسبه

هو محمد قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش بن علاء الدين الصديقي النانوتوي، وُلِدَ في أسرة عريقة في المجد والشرف بقرية «نانوته»[1] في شوال ١٢٤٨هـ/ مارس ١٨٣٣م.

ينتهي نسبه إلى قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) نانوته (Nanota)إحدى القرى الجامعة التابعة لمديرية سهارنفور، بولاية أترابراديش، بالهند.

أما أبوه الشيخ أسد علي (١٢٩١هـ / ١٨٧٥م) فكان رجلاً صالحًا، قليل الثقافة كريماً، حسن الخلق مِضيافاً، يجالس العلماء والصالحين، وكان يحترف الفلاحة و يمارس أعمال الزراعة.

تعليمه ودراسته

كانت تظهر عليه علائم الذكاء والفطنة منذ بواكير الصبا؛ فقد تعلَّم مبادئ القراءة والكتابة في قريته، ثم نُقِلَ إلى «ديوبند» حيث قرأ كتباً في الفارسية وفي قواعد النحو والصرف على الشيخ مهتاب علي الديوبندي (١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م) في مدرسته، ثم حُمِلَ إلى خؤولته في «سهارنفور» حيث قرأ كتبا في الفارسية والعربية على الشيخ محمد نواز السهارنفوري، فلما توفي جده من الأم: الشيخ وجيه الدين عاد إلى قريته.

ثم استصحبه الشيخ مملوك العلي النانوتوي (١٢٦٧هـ / ١٨٥١م) إلى دهلي، وأسكنه في منزله حيث درس عليه الكافية في النحو، وكتب المنطق والفلسفة. كان منزل الشيخ مملوك العلي النانوتوي بالقرب من مسجد الشيخ نوازش علي الدهلوي، وكان يجتمع فيه جمٌّ غفير من الطلاب، وكانت تجري بينهم مباحثات ومناقشات علمية، فكان يساهم فيها ويغالبهم فيغلبهم جميعًا؛ فطار صيته وعُدَّ طالبًا مبرِّزًا.

ثم ألحقه الشيخ مملوك العلي النانوتوي بالكلية العربية في

دهلي، وقال لأستاذه في الرياضيات : لا يهمك شأن الطالب، وأنا أدرِّسُه بنفسي ، وأمره الشيخ أن يطالع أقليدس بنفسه ويتمرن على قواعده . فما إن مضت أيام قلائل حتى أنهى جميع مقالاته البسيطة وأكمل الحساب ؛ مما أدهش الأساتذة والطلاب جميعًا . فناقشه الطلاب ووجَّهوا إليه أسئلةً فردَّ عليها ردًّا صحيحًا، ثم طرح إليه المنشئ ذكاء الله الدهلوي (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) أسئلةً غايةً في الصعوبة ، فأجابَ عنها إجاباتٍ صحيحةً ، مما أكسبه شهرةً كبيرةً. فلما حان موعد الامتحان السنوي لم يؤدِّ الامتحان وغادر الكلية خوفًا على نفسه الفتنة وتفاديًا من الإعجاب بنفسه ؛ فأسِف عليه أسفاً شديداً أساتذةُ الكلية - لاسيما «طيلر» (J.H. TAYLOR) أستاذ اللغة الإنجليزية فيها - الذين لم يعرفوا طبيعة الشيخ في مسار حياته وأطوارها .

ثم دَرَسَ الشيخ الصحيح للبخاري، والصحيح لمسلم، والسنن للترمذي، والموطأ لمالك، وتفسير الجلالين على الشاه عبدالغني المجددي الدهلوي (١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م)، كما درس السنن لأبي داود، والسنن للنسائي، والموطأ لمالك على الشيخ أحمد علي السهارنفوري (١٢٩٧هـ / ١٨٧٩).

وبايع هو وصديقه وزميله في الدرس: المحدثُ الفقيهُ الشيخُ رشيد أحمد الكنكوهي الحاجَ الشيخ إمداد الله الفاروقي التهانوي

ثم المكي (١٢٣٣/ ١٣١٧هـ = ١٨١٧/ ١٨٩٩م) وتخرَّجا عليه في التزكية والإحسان.

مواهبه وأخلاقه

كان غايةً في الذكاء فطينًا، عالي الهمة جلدًا شجاعًا، مبرِّزًا في أقرانه، حسن الخط. وكان مثالاً في البساطة، صموتًا من غير عي، متواضعًا، متقشفًا في المأكل والمشرب، ومتخشنًا في الملبس والمسكن، وأحبُّ شيء إليه الخمولُ والعزلةُ، وأكره شيء إليه الصيتُ والشهرةُ، وكان صبورًا على المكروه لا ينبس فيه ببنت شفة، وكان كريمًا سمح اليد مضيافًا.

وقد أراد أن يعيش عزبًا، ولكن أباه وشيخه إمداد الله الفاروقي التهانوي المكي ضغطا عليه؛ فرضي بالزواج.

وكان يُخفِي نفسه - جُهدَ طاقته - فلا يُحِبُّ أن يُشَار إليه بالبنان، ويُعْرَفَ في أوساط الناس بالشيخ أو العالم، وكان لا يُفتي بالفتوى، ولا يؤُمُّ الناس في الصلاة، فإذا أفتى كان لا يوَقِّع على الفتوى إخفاءً لنفسه. وقد مضى عليه حين من الزمان، كان يكره فيه أشدَّ الكراهية أن يدعوه الناس بالشيخ أو بالعالم، فإذا دعوه باسمه لبَّى وتهللَّ وجهه فرحًا.

وكان بادئ ذي بدءٍ لا يعظ ولا يخطب بين النَّاس، وقد فتَقَ لسانَه خطبةٌ ألقاها في «كاندهله» بأمر الشيخ الصالح مظفر حسين

الكاندهلوي (١٢٢٠هـ / ١٢٨٣م).

أعماله ونشاطاته

فلما تُوفِّيَ أستاذه الشيخ مملوك العلي النانوتوي غادر منزله، وعَمِلَ فترةً مصححًا في المطبعة الأحمدية في دهلي، وسكن أيامًا في مدرسة دار البقاء بدهلي.

ومن الجدير بالذكر أنَّ أستاذه الشيخ أحمد على السهارنفوري حلّى جِيْدَ الصحيح للبخاري بالهوامش، وقد ترك - لأمر مَّا - أجزاءً في آخره لم يعلق عليها. وأثناء عمله في المطبعة الأحمدية أمره أستاذه الشيخ أحمد علي السهارنفوري بكتابة الهوامش على الأجزاء الباقية لصحيح البخاري، فقام به خيرَ قيام. كما عمِلَ مصححًا في كل من المطبعة المجتبائية و المطبعة الهاشمية في «ميروت» (MEERUT)، وكان خلالَ عمله في المطبعة يدرس الطلاب كذلك.

جهاده ضد الإنجليز

انفجرت ثورةٌ عارمة ضدَّ الاحتلال الإنجليزي في الهند، وذلك عام ١٨٥٧م، وعمت الهند الشمالية، فوقعت معارك دامية مع الإنجليز، ومنها معركة «شاملي»[1] التي خاضها الحاج الشيخ إمداد الله وأصحابُه الذين كانوا من كبار العلماء وأولياء الله وعلى

(١) شاملي: قرية من القرى الجامعة التابعة لمديرية «مظفر نغر» عُرفت بمعركة وقعت عندها وخاضها علماء ومشايخ ديوبند مع الإنجليز المستعمرين.

رأسهم الشيخ محمد قاسم النانوتوي ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والشيخ الحافظ ضامن الشهيد ، والشيخ منير النانوتوي. وهزموا الإنجليز هزيمةً منكرةً ؛ فاستشاطوا غضبًا ، فدمَّروا قرية «تهانه بهون» وعاثوا فيها فسادًا ، وأعلنوا أن الحاج إمداد الله وأصحابه أعداء ألِدَّاء للإنجليز وثُوَّارٌ عليهم ؛ فحاولوا القبض عليهم؛ فهاجَرَ الشيخ إمداد الله مختفيًا إلى مكة المكرمة ، وبقي الشيخ محمد قاسم مختفيًا في الهند يتنقل من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة ، حتى أعلن الإنجليز عن العفو العام عن الثوار والمجرمين . فاستقرَّ مقام الشيخ في وطنه لأيام ، ثم عمل مصححًا في المطبعة المجتبائية بـ «ميروت» .

تاسيس الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند

انقرضت الدولة المغولية في الهند وطُوِيَ بساطها ، وقامت حكومة الإنجليز على أنقاضها ، وقد ناصبوا العداء للمسلمين فقتَّلوهم تقتيلاً ، وصادروا الممتلكات والأوقاف ، وخرَّبوا دور العلم ومعاهد التعليم ، وبثوا القساوسة والمبشِّرين في طول البلاد وعرضها ليحولوها دولةً مسيحيةً ، وأصبح أمر المسلمين في هرج ومرج .

هنالك قامَت طائفة من العلماء الغيارى المخلصين ، وقد أهمَّهم أمر الإسلام في هذه البلاد والحفاظ عليه ، ففكروا وفكروا

حتى ألقى الله في رُوعِهم فكرةً عظيمةً ، وهي فكرة تأسيس المدارس الإسلامية الأهلية في مشارق البلاد ومغاربها ، فتقدموا إلى مجال العمل، وكان الشيخ رأسَهم وواسطة عقدهم ؛ فأسَّسُوا بأيديهم المباركة مدرسة عربية في ديوبند ، وهي تُعرفُ الآن بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند .

من المآثر الخالدة للشيخ هذه الجامعة التي أُسِّسَت على التقوى من أولِّ يومها والتي قامت – ولا تزال - بالحفاظ على الإسلام وهوية المسلمين في هذه البلاد ، وأدت ولا تزال وستظل تؤدي خِدماتٍ جليلةً نحوهم .لم تقتصر خدماتها وبركاتها على شبه القارة الهندية فحسب بل عمَّت العالم كله . واستعراض خدماتها وأعمالها الجليلة يحتاج إلى مجلدات كبار .

كان الشيخ حركةً مستقلةً لتنفيذ هذه الفكرة النبيلة ، فكرة تأسيس المدارس والكتاتيب الإسلامية الأهلية ، فأسَّسَ نحو عشر مدارس في المدن المختلفة للمناطق الشمالية في الهند .

حركة تزويج الأرامل

كان للشيخ علاقة وطيدة بالمشايخ الكباركالشيخ الحاج إمداد الله التهانوي المكي، والشيخ الصالح مظفرحسين الكاندهلوي، فكان يختلف إليهم ويجالسهم ويتأثربهم، فورثهم دعوتهم و إحياء السنة النبوية والعمل بها، وإزالة البدع والخرافات الجاهلية التي

تسربت إلى المجتمع الإسلامي الهندي بحكم مجاورة الهندوس. ومن التقاليد غير الإسلامية التي سادت المجتمع الإسلامي الهندي عدم تزويج الأرامل. كان الشيخ مظفر حسين الكاندهلوي يسعى للقضاء على هذا التقليدغير الإسلامي ويقوم بتزويج الأرامل. فكان لمساعيه آثار إيجابية في المجتمع. ورثه الشيخ محمد قاسم العمل بالسنة النبوية ومحاولة القضاء على التقاليد الجاهلية، ومنها عدم تزويج الأرامل، وقد بدأ الشيخ محمد قاسم هذه الحركة بإرضاء شقيقته الأرملة - التي كانت تكبره وكانت مسنة- للزواج، فكان لذلك تأثير كبير على الناس، فبفضل محاولته المكثفة المخلصة زال التقليد من المجتمع وأصبح نسيًا منسيًا.

تبرعاته في الحرب البلقانية

كان الشيخ يشاطر آلام الأمة الإسلامية وأحلامها، فإذا سمع مصيبة حلت بساحتها في أي بقعة من بقاع العالم، أصبح يتقلب على أحرَّ من الجمر شأنَ المؤمن الحق، كما قال الرسول ﷺ :« مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى ».

فلما قامت الحرب البلقانية بين تركيا وروسيا عام ١٨٧٤م، وتناهت إليه أنباء الحرب ومالحق المجاهدين الأتراك من خسائرفادحة في الأرواح والممتلكات، تألم هو وأصحابه المسؤولون

في الجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند أشدَّ التألم، و أزمعوا على أن يساعدوا إخوانهم الأتراك بأنفسهم وأموالهم. فجمعوا مبالغ باهظة لهم ، كما تبرع الشيخ بحلي زوجه كلها لهم، وبعثوا بهذه المبالغ عن طريق السيد حسين حسيب سفير تركيا لدى مومبائي بالهند إلى الخليفة العثماني في إستانبول عاصمة الخلافة العثمانية، فتلقاها المسؤولون فيها، وأرسل إبراهيم أدهم باشا رسالة شكر إليهم.

كما سافر هو وأصحابه الذين بلغ عددهم مئة رجل في قافلة إلى الحجاز ليحجوا، ثم يتوجهوا إلى البلقان للوقوف بجانب الجيش العثماني والجهاد معه ضد الجيش الروسي. غير أنه قدحالت عراقيل ومعوقات دون الوصول إلي البلقان، فعادوا إلى الهند.

مناظراته مع القساوسة وعلماء الهندوس

ولما كان الشيخ مقيمًا بمدينة «ميروت» بلغه أنَّ القساوسة انتشروا في مدينة دهلي يلقون خطبًا عن ديانتهم أمام الناس ويُضِلُّونهم ؛ فأمر الشيخ تلاميذه بأن يذهبوا إلى دهلي ويلقوا خطبًا كذلك ، ويساعدوا من يحاور القساوسة ويناظرهم من علماء المسلمين. تواعد القساوسة وعلماء المسلمين على المناظرة وضربوا الموعد ، فذهب الشيخ بنفسه وناظر القس «تاراجند» فأبكمه وأخرسه .

وفي ١٢٩٣هـ الموافق ١٨٧٦م أقام المنشئ «بيارى لال» اجتماعًا

باسم «معرض معرفة الذات الإلهية» على شاطئ نهر «غَـرَّا» في قرية «تشاندافور» في مديرية «شاه جهان فور» بولاية أترابراديش الهندية، وكان المنشئ «بيارى لال» يميل إلى المسيحية ويجالس القس «نـولس» فعقد اجتماعًا بمشورته ومساعدته، ودعـا إليـه القساوسة وعلماء الهندوس وعلماء المسلمين لمناقشة الديانات. فأبلغ مسلمو مدينة «بريلى» والقرى المتجاورة لها الشيخَ، ودعوه للحضور في الاجتماع؛ فلبى دعوتهم، وقد رافقه في سفره تلاميذُه: الشيخ محمود حسن الديوبندي، والشيخ فخر الحسن الكنكوهي، والشيخ رحيم الله البجنوري وغيرهم من علماء دهلي، كالشيخ السيد أحمد علي الدهلوي، والشيخ أبوالمنصور الدهلوي. وحضر الاجتماع وشارك في المناقشة، وألقى خطبةً بليغةً في الردِّ على عقيدة التثليث والإشراك بالله وإثبات التوحيد؛ مما أدهش السامعين من أنصاره ومعارضيه، واعترفوا له بالفضل وغزارة العلم وقوة البيان ونصاعة البرهان؛ فَعَلت كلمتُه، وارتفع ذكره، وصار حديث المجالس والنوادي، ورجعَ منصورًا موفقاً من الاجتماع.

ثم أُقِيْمَ الاجتماع في السنة القادمة: ١٢٩٤هـ الموافق ١٨٧٧م، فحضره الشيخ في نخبة من علماء المسلمين. قد حضر الاجتماع هذه المرة بالإضافة إلى القساوسة حبرُ الهندوس وصنديدُهم «البانـدت ديانند سرسوتي» الذي كان اخترع دينًا جديدًا مُسْتَمَدًا من الديانة

الهندوسية ، وكان يؤمن بالفيدات «الكتب المقدسة لدى الهندوس» ويرى التناسخ . شرح الباندت في الاجتماع معتقداته باللغة الهندوسية الممزوجة بكلمات اللغة السنسكرتية ، فتصدى للرد عليه الشيخ محمد علي . ثم ألقى الشيخ خطبةً مؤثرةً في مسألة الوجود وإثبات التوحيد . وكان السامعون أثناء خطبته آذانا مصغيةً وقلوبًا واعيةً وعيونًا شاخصةً . ثم ناقش التحريف في الإنجيل ودلَّلَ عليه حتى لاذ القساوسة بالفرار عن الاجتماع تاركين بعض كتبهم .

وكان القساوسة يقولون : «لو آمنّا بخطبةٍ لآمنا بهذه الخطبة التي كانت تأخذ بمجامع القلوب» .

وفي شعبان عام ١٢٩٥هـ أتاه النبأ بأنَّ الباندت « ديانند سرسوتي » ورد ببلدة «روركي» (Roorkee) وأخذ يوجّه اعتراضات إلى الإسلام ، فإذا تصدّى عالم من علماء المسلمين للردّ على اعتراضاته لا يلقي له بالاً ولا يرفع به رأسًا ، وإنما يقول : «إني لن أناظر إلا الشيخ محمد قاسم» فدعا مسلمو بلدة «روركي» الشيخ لمحاورته والنقاش معه . وكان الشيخ يعاني أيامئذٍ السُّعال والمرض الشديدين الذين قدأصاباه خلال عودته من الحج، فاعتذر إليهم ، ولكنهم مازالوا يُصِرُّون عليه ، فبعث تلاميذه : الشيخ فخر الحسن الكنكوهي ، والشيخ محمود حسن الديوبندي ، والشيخ عبد العدل الفلتي ليستعرضوا الأوضاع ويناظروا الباندت إن رضي